

قبسات من هنا وهناك

رقم ((59))

قضاء الحوائج

إعداد

عبد النبي عبدالمجيد النشابة

الطبعة الثالثة

2002م

المقدمة

هذه القبسة اخترنا للقارئ موضوع اجتماعي مهم لدى الجميع فحرياً بنا أن نفتح مع آيات الله وروايات أهل بيت العصمة عليهم السلام.

عبدالنبى عبدالمجيد النشابة

قضاء الحوائج _____ 3

قضاء الحوائج: الإيمان يدفع الفرد إلى خدمة إخوانه بما يعود عليهم بالنفع والفائدة، قال الإمام الصادق عليه السلام (المؤمنون خدم لبعض - ولما قيل له - وكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض ؟ قال عليه السلام: يفيد بعضهم بعضاً)...

فالأخوة توثي ثمارها الطيبة من خلال دفع الفرد لقضاء حوائج اخوانه المؤمنين، ومن الملفت للانتباه في هذا السياق أن ثواب العمل الإجتماعي المتأتي عن هذه السبيل، يفوق أضعافاً مضاعفة العمل العبادي المتأتي عن العتق أو الجهاد

وما إلى ذلك. فقد ورد عن أبي عبدالله عليه السلام (قضاء حاجة المؤمن خيرٌ من عتق ألف رقبة وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله).
كما أن قضاء الحوائج أحب إليه عليه السلام من الحج، عن صفوان الجمال قال: كنت جالساً مع أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل مكة يقال له: ميمون فشكا إليه تعذّر الكراء عليه. فقال لي قم فأعن أخاك، فقمتم معه فيسر الله كراه، فرجعت إلى مجلسي فقال: أبو عبد الله عليه السلام: (ما صنعت في حاجة أخيك؟ فقلت: قضاها الله بأبي وأمي فقال: أما إنك أن تعين أخاك المسلم أحب إليّ من طواف اسبوع بالبيت)...
وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما هو صريح بمضاعفة ثواب

4 _____ قضاء الحوائج

من يمشي في قضاء حاجة أخيه المؤمن، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (ما من مؤمن يمشي لأخيه المؤمن في حاجة إلا كتب الله عز وجل له بكل خطوة حسنة، وخط عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، وزيد ذلك عشر حسنات وشفع في عشر درجات)) كما جاء عنه أيضاً: (من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة)).

وعنه عليه السلام: (... الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه).

وكان أهل البيت عليهم السلام يعيرون على الذين لا يتحسسون حوائج إخوانهم ولا يشعرون بمعاناتهم، عن الحسن بن كثير قال: (بئس الأخ أخ يربك غنياً ويقطعك فقيراً، ثم أخرج كيساً فيه سبعمائة درهم وقال: استنفق هذه فإذا نفذت فاعلمني).

وهكذا نجد أن مسألة الأخوة وما تتطلبه من تعاون وتضامن تتصدر سلم الأولوية في اهتمامات الأئمة عليهم السلام وتوجهاتهم الاجتماعية لكونها الضمان الوحيد والطريق الأمثل لإقامة بناء اجتماعي متماسك. لذلك حثوا شيعتهم على تحقيق أعلى درجة من التعاون والتضامن، وفي ذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام لأحد أصحابه: (يا إسماعيل أرايت فيما قبلكم إذا كان

5 _____ قضاء الحوائج

الرجل ليس له رداء يطرحه عليه حتى يصيب رداء، فقلت: لا، قال: فإذا كان له إزار يرسل إلى بعض إخوانه بإزاره حتى يصيب إزاراً، فقلت: لا، فضرب بيده على فخذه ثم قال: ما هؤلاء باخوة).

ومن الشواهد الأخرى على هذا المسلك المثالي، عن سعيد بن الحسن قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه

فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟! فقلت: ما أعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر عليه السلام: فلا شيء إذاً، قلتُ: فإلهلاك إذاً، فقال: إنَّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد).

وصفوة المال أنَّ الإيمان يدفع الفرد أبناء المجتمع نحو الإحسان إلى إخوانهم وخدمتهم ومدّ يد العون لهم وذلك من معطاته الإجتماعية الهامة. أمال الذين كفروا فلعدم إيمانهم بالمنهج الديني في الحياة فإنهم يبخلون، وفوق ذلك يأمرّون الناس بالبخل! وقد نقل القرآن الكريم محاوره قيمة بين المؤمنين والكافرين، اوجزتها آية واحدة ببلاغة فريدة: (وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلالٍ مبين).

6 _____ قضاء الحوائج

ومن روائع القرآن تصويره البديع للسان حال الكافرين إذ يقولون في اليوم الآخر بعد أن يسألهم المؤمنون: (ما سلّكم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين).

هكذا يدفع الفرد نحو البخل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يقال للكافر يوم القيامة، لو كان لك ملاء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به فيقول: نعم، فيقال له: كذبت قد سئلت ما هو أهون عليك من هذا فأبيت) ثانياً: تغيير الروابط الاجتماعية:-

بينما يدفع بأبناء المجتمع نحو هاوية العصبية المقيتة ويركز على روابط الدم والرحم ومظاهر اللون والمكان وما إلى ذلك من روابط جاهلية، كما قال تعالى: (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية).

وهكذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد ركز في عمله التبليغي على إزالة غيوم العصبية السوداء، وعمل جاهداً على إزالة الرواسب الجاهلية من نفوس أصحابه والمحيطين به، ومن الشواهد الدالة على هذه الحالة، أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي رفعه الإيمان من أسفل القاع الاجتماعي إلى القمة، فبعد أن كان عبداً فارسياً أصبح حراً ومن أهل التعظيم والإكرام الأمر الذي أثار حفيظة بعض الأصحاب كعمر بن الخطاب الذي لم تغادر العصبية - يومئذ - قاع وعيه ولم تنفك رواسبها

قضاء الحوائج _____ 7

تتحكم في مشاعره، فقد دخل سلمان الفارسي - ذات يوم - مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعظموه وقدموه وصدروه إجلالاً لحقه

وإِعْظَاماً لشيئته واختصاصه بالمصطفى وآله صلوات الله عليهم. فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟! فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فخطب فقال: (إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى)

كما وجه الرسول (ص) اللوم والعتاب للصحابي الجليل أبي ذر - إن صح الحديث، فعن المعرور بن سويد قال: (مررنا بأبي ذر بالربذة وعليه برد على غلامه مثله، فقلنا: يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة؟! فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلاماً، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي (ص) فلقيت النبي فقال: (يا أبا ذر إنك أمرؤ فيك جاهلية!).

قلت: يا رسول الله من سبّ الرجال سبّوا أباه وأمه.

قال: يا أبا ذر أمرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم جعلتم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون).

وقد زود الإسلام المؤمن بنظرة واعية عميقة تحصنه من الانزلاق في حضيض

العنصرية وتفاخرها بالاحساب والانساب، ويكفي مثلاً على ذلك أنه لما:
(تفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لكن خلقت من
نطقة قدرة، وأعود جيفة منتنة ثم إلى الميزان فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا
لئيم) ولعل من أجلى مظاهر التغيير الإجتماعي الذي أحدثه الإيمان أن أفراد
كانوا في أسفل السلم الاجتماعي قبل الإسلام أصبحوا - على حين غرة -
بعد الإسلام في مواقع اجتماعية عالية يتزوجون من بيوتات مرموقة، يقول
الرسول الأكرم (ص): (إنما زوجت مولاي زيد بن حارث زينب بنت جحش،
وزوجت المقداد ضباة بنت الزبير لتعلموا أن أكرمكم عند الله أحسنكم
إسلاماً). كما تبوأ البعض مناصب رفيعة كبلال الحبشي الذي أصبح مؤذناً
للسول (ص). وكان أسامة بن زيد شاباً يافعاً فأصبح قائداً عسكرياً أناط به
الرسول (ص) قيادة الجيش الإسلامي المتجه إلى (مؤتة) لمواجهة دولة عظمى
هي دولة الروم، وأدخل تحت إمرته أبا بكر وعمر وكبار المهاجرين والأنصار.
زد على ذلك دفع الإيمان على إقامة عادات وتقاليد جديدة بدلاً من التقاليد
البالية التي تمجد الثراء والرفعة فقد ترك الدين بصماته وآثاره حتى على

مراسم الزواج وعاداته فبينما كان معيار الاختيار يتم على أساس المال والثروة والجاه إذا يتمحور على التقوى والفضيلة، قال رسول الله (ص): (من تزوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه).

وجاء رجل إلى الحسن عليه السلام يستشيريه في تزويج ابنته، فقال عليه السلام: (زوجها من رجل تقي، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها). ثم جاء الإسلام حارب التقاليد البالية التي تمجد المراسم الفارغة التي لا تنسجم مع بساطة الإسلام والتي لا تنفع بقدر ما تولد العنت والمشقة وتضع الحواجز النفسية والاجتماعية خاصة بين الحاكم والمحكوم. وكان الإمام علي عليه السلام نموذجاً للحاكم الإسلامي الذي يحب البساطة والتواضع ويكره التكلف والتعظم بدليل أنه: (لما قيل لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه، فقال عليه السلام: (ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا: خلق منا نعظم به أمراءنا، فقال عليه السلام: والله ما ينتفع بهذا امرؤكم! وإنكم لتشقون على أنفسكم في دنياكم، وتشقون به في آخرتكم)...

ثالثاً: الإيمان يمنح البركة والقوة:

الإيمان يدفع الأفراد نحو التقدم المطرد، والسير إلى الأمام وعدم الانكفاء إلى الوراء، قال النبي (ص): (من اعتدل يومه فهو مغبون، ومن كان غده شراً من يومه فهو ملعون، ومن لم يتفقد النقصان من نفسه فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خيرٌ له). وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: (بينما أمير المؤمنين ذات يوم جالس مع أصحابه يعيهم للحرب إذ أتاه شيخ عليه شحبة السفر.. فقال: إني أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير وقد سمعت فيك من الفضل ما لا أحصيه وإني أظنك ستُغتال! فعلمني ما علمك الله قال: نعم يا شيخ من اعتدل يومه فهو مغبون.. ومن كان في نقص فالموت خير له).

إذن فالإيمان يُحفز أفراد المجتمع على التقدم نحو الأفضل، والاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم على النحو الأكمل.

وعلى هذا الصعيد لا بد من التنويه على التوجه المخلص لله تعالى تنعكس آثاره النافعة على الطبيعة التي يعيش فيها الإنسان فتجود - بإذن الله تعالى - بالخير والبركة الأمر الذي يساعد على زيادة القوة سواءً كانت قوة إقتصادية أم اجتماعية وما إلى ذلك. ومن الشواهد القرآنية على ذلك ما قاله النبي

هود عليه السلام لأبناء مجتمعه الذين اصابهم القحط والجذب بسبب كفرهم وإعراضهم عن الله تعالى: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين)

لقد بدا واضحاً ان هود عليه السلام قد أعلم قومه الكافرين بأن طريق الإيمان والهداية يؤدي إلى حصول الخير والبركة للمجتمع حيث ترسل السماء مطرها الغزير وتجدد الأرض بالخصب فتتضاعف القوة. أما الاعراض على طريق الإيمان فسوف ينذر بعواقب خطيرة تبرز مؤشرات المأساوية بارتفاع البركات المؤدي إلى تدمير المجتمعات، قال تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون* ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)

وهكذا نجد أن الكفر عامل أساسي في تدمير المجتمع وفناءه.

وقد مر الله تعالى الأمم الكافرة بمختلف ألوان وأشكال العذاب وكانت الطبيعة اداة هامة في تنفيذ العقوبة الإلهية.

وقد خاطب تعالى الكافرين محذراً من الاغترار بدوام حالة الأمن التي يعيشونها، فإن من سنه الإمهال قبل حلول النكال، قال لهم بضيغة الاستفهام

الانكاري: (أفأمنتُم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدون لكم وكيلاً * أم أمنتُم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدون لكم علينا به تبيعاً)

ومن يقرأ سورة هود يلاحظ أنها تستعرض سريعاً أوجه الدمار الذي حل بالمجتمعات الكافرة ابتداءً من قوم عاد إلى قوم فرعون. وتستخلص السورة من كل ذلك عبرة قيّمة مفادها أن الظلم كان السبب وراء تدمير المجتمعات (.. وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)

وهذا بخلاف الإيمان الذي تمتد بركاته وثماره لا إلى حياة المؤمن فحسب وإنما إلى أبنائه وأحفاده قال النبي (ص) في وصيته لأبي ذر: (يا أبا ذر إن الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته والدور حول ما دام فيهم).

وصفوة القول إن الإيمان بمثابة السور الوقائي الذي يقي المجتمع من الدمار ويحقق له البركة والرفاهية ويمنحه القوة. أما الكفر وما يرافقه من الظلم فإنه ينطوي على نتائج مأساوية كالدمار والبوار.

والحمد لله رب العالمين...

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
"ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر"
بحار الأنوار / كتاب العلم / حديث 8 مجلد 87

ساهموا معنا في نشر هذه القبسة

<http://www.alnashaba.net>

Email: qabasat@hotmail.com